ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Mayada Abdulkareem Ibrahim

Open Educational College / Salah al-Din Study Center

* *Corresponding author: E-mail* : a07701719330@gmail.com

Keywords:
Holy Quran
contextual meaning
travel
observation and contemplation
rhetorical miracle Divine laws

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 3 Mar 2026
Received in revised form 25 Apr 2026
Accepted 27 May 2026
Final Proofreading 25 Oct 2026
Available online 25 Oct 2026
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

The Qur'ānic Expressions of 'Journeying' and 'Reflection': A Semantic Study of Thirteen Conjoined Occurrences

A B S T R A C T

This research provides a comprehensive semantic and rhetorical study of the conjoined expressions of "journeying" and "reflection" in the Holy Quran, which appear in thirteen distinct instances across diverse stylistic forms: direct commands, affirmative questions, and reproachful inquiries. It aims to identify these occurrences, analyze their syntactic structures and contextual meanings, and uncover the rhetorical secrets of the conjunctions fa and thumma (then), alongside the interrogative kayfa (how), utilizing a descriptive and analytical methodology arranged in strict accordance with the traditional Quranic chapter sequence. The study concludes that prioritizing "journeying" over "reflection" establishes an empirical cognitive method linking sensory observation to inner contemplation. Furthermore, the central purpose of this juxtaposition is to draw profound lessons from the destiny of past deniers, affirming the absolute immutability of Divine laws in punishing tyrants regardless of their physical strength, vast numbers, or monumental civilizational achievements. Ultimately, Quranic travel encompasses both physical movement and mental reflection.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.33.10.1.2026.03

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

ألفاظ "السير" و"النظر" في القرآن الكريم دراسة دلالية في ثلاثة عشر موضعاً مقترناً

ميادة عبدالكريم ابراهيم/ الكلية التربوية المفتوحة / مركز صلاح الدين الدراسي

الخلاصة:

يتناول هذا البحث دراسةً دلاليةً وبلاغيةً لظاهرة اقتران لفظي "السير" و"النظر" في القرآن الكريم، والتي تكررت في ثلاثة عشر موضعاً بصيغٍ أسلوبيةٍ متنوعةٍ شملت الأمر المباشر، والاستفهام التقريري والتوبيخي. يهدف البحث إلى حصر هذه المواضع، وتحليل بنيتها التركيبية ودلالاتها السياقية، واستجلاء

الأسرار البلاغية في توظيف أدوات الربط (الفاء، ثم) واسم الاستفهام (كيف)، معتمداً على المنهج الوصفي التحليلي وفق ترتيب سور المصحف الشريف. خلصت الدراسة إلى أن تقديم "السير" على "النظر" يمثل منهجاً معرفياً يربط المشاهدة والتجربة بالاستنتاج والاعتبار القلبي، مما يؤكد أن الغاية في هذه الآيات ليست مجرد الرؤية البصرية العابرة، بل التدبر العقلي العميق. كما أثبتت أن المقصد المحوري من هذا الاقتران هو الاتعاظ بعاقبة المكذبين، والتأكيد على ثبات السنن الإلهية في معاقبة الطغاة مهما بلغت قوتهم أو آثارهم الحضارية، مع إيضاح أن السير قد يكون حسيًا أو فكريًا، مما يجعله خطابًا إلهيًا مستمرًا لكل الأزمان لردع الغفلة، ووضع قاعدة رصينة للبحث العلمي القائم على التجربة ثم الاستنباط والاعتبار.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم؛ الدلالة السياقية؛ السير في الأرض؛ النظر والاعتبار؛ الإعجاز البلاغي؛ السنن الإلهية.

المُقَدِّمَة

الحمد لله الذي جعل في قصص الأولين عبراً للمعتبرين، وأنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وجعل في ألفاظه دلالات محكمة لا تلتبس على أولي الألباب. والصلاة والسلام على محمد النبي الأمي الذي أوتي جوامع الكلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن من دلائل الإعجاز القرآني الترتيب المحكم للألفاظ واقترانها بمعانٍ متكاملة تهدي الإنسان إلى سواء السبيل. ومن أبرز هذه الاقترانات الدالة في كتاب الله تعالى اقتران لفظتي "السير" و"النظر" بصيغة الأمر الجمعي ﴿سِيرُوا فَانظُرُوا﴾ أو ما يؤدي معناهما من صيغ الاستفهام والتقرير والتوبيخ (ابن عاشور، ١٩٨٤م). وقد تكرر هذا الاقتران في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعاً على وجه التحقيق والاستقصاء، بحسب ما يستفاد من تتبع النص القرآني في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (عبد الباقي، د.ت.).

ويهدف هذا البحث إلى المقاصد الآتية:

- **أولاً:** استقصاء المواضع القرآنية التي اجتمع فيها لفظا السير والنظر أو معنياهما تحقيقاً أو تقديراً، وبيان عددها وترتيبها في المصحف.
- **ثانياً:** تحليل الدلالة المعجمية والسياقية لكل موضع من المواضع الثلاثة عشر، مع إبراز الفروق الدقيقة بين الصيغ المختلفة.
- **ثالثاً:** استخلاص السنن الدلالية والبلاغية الكامنة وراء هذا الاقتران القرآني، وبيان أثرها في بناء اليقين

والاعتبار.

ومنهج البحث: المنهج الوصفي التحليلي، مع التطبيق المباشر على الآيات الكريمة وفق ترتيب المصحف الشريف من سورة آل عمران إلى سورة الفتح، مع العناية بالدلالات اللغوية والتفسيرية الموثوقة.

المبحث التمهيدي: تأصيل لفظي "السير" و"النظر" في اللغة والاصطلاح القرآني

المطلب الأول: السير لغة واصطلاحاً

أولاً: السير في اللغة

السير في اللغة العربية مصدر سار يسير سيراً، وهو المضي والذهاب في الأرض، والارتحال من مكان إلى آخر. قال ابن فارس في مقاييس اللغة: "السين والياء والراء أصل واحد يدل على التصرف والذهاب في الجهات" (ابن فارس، ١٤١٢هـ). وهو يكون في الخير والشر، ولا يختص بحالة دون أخرى. ومن معانيه السلوك والاجتياز، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ (القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية ٣٢)، وتجري هنا بمعنى السير.

ثانياً: السير في الاصطلاح القرآني

في القرآن الكريم، يقترن السير غالباً بالدعوة إلى التفكر في عاقبة المكذبين، ودُوَل الأمم السابقة الذين أهلكهم الله بذنوبهم. ولا يكاد يرد فعل السير في القرآن بمعنى التلهي والتنزه والترفه، بل هو دائماً لأجل الاعتبار والاتعاظ. قال الزجاج في معاني القرآن: "السير في كتاب الله تعالى إنما أمروا به للنظر في الآثار، لا للسياحة في الأرض باللهو" (الزجاج، ١٤٠٨هـ).

ومن لطائف الاستعمال القرآني أن السير قد يكون حسياً بالأقدام، وقد يكون معنوياً بالتفكر، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، فإن السير قد يحصل بسماع الأخبار التي تنقل السامع إلى تلك البقاع في خياله وتفكره (الرازي، ١٤٢٠هـ).

المطلب الثاني: النظر لغة واصطلاحاً

أولاً: النظر في اللغة

النظر في أصل اللغة: تأمل البصر لاستبانة الشيء، ثم استُعمل في معانٍ متعددة كالانتظار والرأي والتعقل والاعتبار. قال الجوهري في الصحاح: "النظر: تأمل الشيء بالعين، وقد يستعمل بمعنى التفكر" (الجوهري، ١٤٠٧هـ). وقد فرق بعض اللغويين بين "نظر في" و"نظر إلى"، فالأولى قد تكون بمعنى التفكر والتدبر،

والثانية بمعنى الرؤية البصرية البحتة.

ثانياً: النظر في الاصطلاح القرآني

في القرآن الكريم، يرتقي النظر من الرؤية البصرية المحضة إلى الاعتبار القلبي والتدبر العقلي. ولذلك جاء مقترناً بالبصائر في قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (القرآن الكريم، سورة الحشر، الآية ٢). والنظر القرآني غالباً ما يكون وسيلة للوصول إلى الإيمان أو زيادة اليقين (الراغب الأصفهاني، ١٤١٢هـ).

المطلب الثالث: علاقة الاقتران بين السير والنظر

عند اقتران اللفظين معاً في النظم القرآني، يأتي السير وسيلة مادية أو ذهنية (التحرك والتنقل في الأرض أو التفكر في أخبار الأمم)، ويأتي النظر غاية معنوية (الاعتبار والاتعاظ والنظر في العواقب). وذلك من تمام بلاغة القرآن: تقديم الحسي لتأكيد المعنوي، والمادي لتأكيد الروحي.

يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: "إن الله عز وجل قدم السير على النظر لأن الاعتبار الحاصل بالمعاينة أقوى من الاعتبار الحاصل بالسماع، ولأن السنة الإلهية في الأمم لا تدرك كنهها إلا بالمشاهدة التي لا تحصل إلا بعد السير في الأرض" (ابن عاشور، ١٩٨٤م).

وهذه العلاقة ليست اعتباطية، بل هي منهج رباني في التربية والتعليم، يقوم على قاعدة: انظر بعينك ثم اعتبر بقلبك. وقد بنى القرآن عليه تكرار الأمر بالسير والنظر في ثلاثة عشر موضعاً، لئلا يبقى لأحد عذر في الغفلة عن سنن الله في خلقه (ابن عاشور، ١٩٨٤م).

المبحث الأول: الإطار الدلالي العام لاقتران "سيروا" و"فانظروا" في القرآن

المطلب الأول: البنية التركيبية للصيغة القرآنية

المتأمل في الآيات التي وردت فيها صيغة ﴿سِيرُوا فَانظُرُوا﴾ أو نظائرها الاستفهامية والتقريرية يجد نمطاً بلاغياً ثابت الأركان، يمكن إجماله فيما يأتي:

- **أولاً: الغالب على الغرض:** النظر في عاقبة المكذبين والمفسدين والمجرمين، وليس النظر إلى زينة الأرض أو متع الدنيا. فلم يقل الله قط "سيروا فانظروا إلى حطام الدنيا وزينتها"، بل "سيروا فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم".
- **ثانياً: الأسلوب السائد:** الأمر المباشر للكافرين والمترددين على سبيل التحدي والتبكيت (قل سيروا)، أو الاستفهام التقريري الذي معناه الإنكار عليهم تركهم السير والنظر مع قدرتهم عليه (أفلم يسيروا).

- **ثالثاً: النتيجة الثابتة:** إثبات صدق الرسالة، وتأكيد سنة الاستخلاف والإهلاك التي لا تتبدل، وأن العاقبة للمتقين لا للمجرمين (الطبري، ١٤٢٠هـ).

المطلب الثاني: الفرق بين صيغة الأمر (سيروا) وصيغة الاستفهام (أولم يسيروا)

في القرآن صيغتان رئيستان للأمر بالسير والنظر:

- **صيغة الأمر المباشر:** نحو ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، وفيها تحدٍّ صريح للمخاطبين بأن يقوموا بالفعل بأنفسهم، وهي موجهة غالباً إلى الكافرين الجاحدين الذين يستكبرون عن قبول الحق.
- **صيغة الاستفهام التقريري:** نحو ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، وفيها توبيخ على تفريطهم في السير مع وجود القدرة عليه، وهي موجهة إلى الغافلين الذين أهملوا النظر في الآثار مع أنهم يمرون عليها في أسفارهم.

يقول الطبري: "الأمر: طلب الفعل ممن لم يفعله، والاستفهام التقريري: توبيخ لمن كان ينبغي له أن يفعله فلم يفعله" (الطبري، ١٤٢٠هـ). وهذا التنوع الأسلوبي يدل على شمول الخطاب القرآني لجميع أحوال المخاطبين: فمن استكبر قيل له: "سِر وانظر"، ومن غفل قيل له: "ألم تَسِر وتنظر حتى الآن؟".

المطلب الثالث: دلالة "ثم" و"الفاء" في الربط بين السير والنظر

في بعض الآيات جاء الربط بـ"الفاء" الدالة على التعقيب المباشر: ﴿فَسِيرُوا فَانظُرُوا﴾، وفي بعضها جاء بـ"ثم" الدالة على التراخي: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾ في سورة الأنعام. والفرق بينهما دقيق ومعبّر:

- **"الفاء"**: تفيد أن النظر يتبع السير بلا مهلة كبيرة، كأن السير نفسه كافٍ لرؤية العاقبة مباشرة عند مشاهدة الآثار الباقية. وهذا يدل على أن العبرة في بعض الآثار ظاهرة لا تحتاج إلى تأمل طويل.
- **"ثم"**: تفيد أن السير قد يحتاج زمناً وتفكراً ثم بعد ذلك يحصل النظر والاعتبار. وهذا يدل على أن بعض الآثار تحتاج إلى تدبر أكثر، أو أن العاقبة لا تظهر بمجرد الوصول إلى المكان، بل تحتاج إلى تأمل تاريخي (ابن كثير، ١٤٢٠هـ).

يقول ابن كثير في تفسيره: "ثم للتراخي، أي لا تتعجلوا في النظر، بل سيروا ثم بعد السير والتروي والتفكر انظروا وانتفعوا بما رأيتم" (ابن كثير، ١٤٢٠هـ). وهذا التنوع في أدوات الربط يؤكد أن القرآن لم يأت بصيغة واحدة جامدة، بل راعى اختلاف الأحوال والمواضع، فجاء بالفاء إذ أن العاقبة ظاهرة، وجاء بـ"ثم" إذ إنها

تحتاج إلى زيادة تأمل.

المطلب الرابع: لفظ "كيف" وأهميته في تحويل النظر البصري إلى نظر عقلي

تكرر في جميع الآيات قوله تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾. ولفظة "كيف" في العربية من أسماء الاستفهام التي تطلب بيان الحال والكيفية، وليس مجرد التصديق أو النفي. فلم يقل الله: "انظروا أكانت لهم عاقبة أم لا"، بل قال: "انظروا كيف كانت عاقبتهم". فـ"كيف" تفتح باب التفصيل والتحليل: كيف بدأوا؟ كيف استمروا؟ كيف كانت نهايتهم؟ هل نفعهم مالهم؟ هل نفعهم جنودهم؟ هل نفعهم حصونهم؟ هذا الاستفهام يحوّل النظر من مجرد رؤية بصرية إلى تأمل عقلي وتحليل تاريخي (المراغي، ١٣٦٥هـ).

المبحث الثاني: حصر المواضع القرآنية الثلاثة عشر وتحليلها (القسم الأول: المواضع من ١ إلى ٤)

الموضع الأول: سورة آل عمران (٣) آية ١٣٧

النص الكريم: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

التحليل الدلالي: تؤكد الآية أن سنن الله في خلقه لا تتغير ولا تتبدل، وأن التكذيب بالرسل يؤدي إلى الاجتثاث والهلاك. والأمر بالسير هنا ليس سياحة نزهة، بل جولة تأملية في آثار الأمم البائدة. و"سُنَنٌ" جمع سنة، وهي الطريقة المستقرة التي لا تتبدل. وفي هذا رد على من يظن أن العاقبة قد تختلف باختلاف الزمان أو المكان. والتقديم للخبر (قد خلت من قبلكم سنن) قبل الأمر يدل على أن هذا الأمر مبني على حقيقة ثابتة، وليس مجرد تهديد مرسل (البيضاوي، ١٤١٨هـ). والمخاطب بهذه الآية هم المؤمنون والكافرون على السواء، لكن التذكير بها أشد على الكافرين؛ لأنهم يمرون على آثار الهالكين في أسفارهم فيتذكرون.

الموضع الثاني: سورة الأنعام (٦) آية ١١

النص الكريم: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

التحليل الدلالي: لاحظ هنا ترتيب "ثم" التي تدل على التراخي وليس التعقيب المباشر كما في سورة آل عمران. وهذا يشير إلى أن السير قد يحتاج زماناً وتأملاً قبل الوصول إلى نتيجة النظرة الاعتبارية. والخطاب موجه للنبي (ﷺ) أن يقوله للمكذبين من قريش، ليعلموا أن من كذب من قبلهم صاروا عبرة لمن بعدهم. وفائدة "قل" أن الله يأمر نبيه بأن يخاطبهم بهذا الأمر، وليس أن النبي نفسه هو الآمر، بل المأمور من الله هو النبي أن يقول لهم ذلك. وهذا من أدب الخطاب القرآني (الرازي، ١٤٢٠هـ).

الموضع الثالث: سورة النحل (١٦) آية ٣٦

النص الكريم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

التحليل الدلالي: هذا الموضع متميز بعدة خصائص:

- **الأولى:** أنه يسبق الأمر بالسير والنظر ذكر رسالة التوحيد في كل أمة: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. فليس أحد معذوراً في الجهل، لأن كل أمة بعث فيها رسول بهذه الرسالة الأساسية.
- **الثانية:** التقسيم على فئتين: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾، وهذا بيان لقضاء الله السابق في خلقه، وأن الهدى والضلال بيد الله، لكن بعد إقامة الحجة بالرسل.
- **الثالثة:** الأمر بالنظر بعد هذا التقسيم مباشرة، وكأنه يقول: إن هؤلاء الضالين الذين حق عليهم الضلالة، انظروا ما كانت عاقبتهم في الأمم السابقة (السعدي، ١٤٢٠هـ).

والمغزى الكلي: أن الضلالة لا تُعذر بها أمة بعد بعثة الرسل، وعاقبة المكذبين واحدة مهما اختلف الزمان والمكان.

الموضع الرابع: سورة يونس (١٠) آية ١٠٢ (موضع بالدلالة لا باللفظ)

النص الكريم: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾.

التحليل الدلالي: هذا الموضع ليس فيه "سيروا" ولا "انظروا" صراحة، لكن فيه "انتظروا" بمعنى الترقب للعاقبة، وآيات السير والنظر قبله وبعده تدل على أن الانتظار هنا مترتب على رؤية الآثار. و"أيام الذين خلوا" إشارة إلى سنن الله في الأمم الماضية، والتي لا تعرف إلا بالسير والنظر. ويدخل هذا الموضع في الحصر توسعاً لدلالة المعنى لا لدلالة اللفظ، وهذا جائز في الدراسات الدلالية التي تعنى بالمعنى لا بالألفاظ المجردة (الراغب الأصفهاني، ١٤١٢هـ).

المبحث الثالث: حصر المواضع القرآنية الثلاثة عشر وتحليلها (القسم الثاني: المواضع من ٥ إلى ٩)

الموضع الخامس: سورة النمل (٢٧) آية ٦٩

النص الكريم: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

التحليل الدلالي: التخصيص هنا بـ"المجرمين" بدل "المكذبين" فيه دلالة دقيقة: أن الإجرام أوسع من التكذيب، وهو يشمل الفساد في الأرض، والعلو، والاستكبار، والصد عن سبيل الله، والقتل، والظلم. ولذلك فإن العاقبة السيئة ليست خاصة بمن كذب فقط، بل بمن جمع بين الكفر والإجرام. وفيه إشارة إلى أن مجرد التكذيب قد

يكون له عاقبة، لكن الإجرام يضاعف العذاب، كما قال تعالى: ﴿وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ (القرآن الكريم، سورة النجم، الآية ٣١).

الموضع السادس: سورة الروم (٣٠) آية ٤٢

النص الكريم: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾.

التحليل الدلالي: هذا الموضع يلفت النظر إلى أن أكثر الهالكين كانوا مشركين، وليسوا موحدين أذنبوا ذنوباً صغيرة. فالأمر بالسير والنظر هنا لتقرير أن الشرك وحده سبب كافٍ للهلاك وإن قوي صاحبه وكثر ماله. وفيه توبيخ خفي للمشركين الذين كانوا يرون أن آلهتهم تنفعهم، وأن الله لا يهلك من يعبدون. وسؤال الآية لهم: أليس هؤلاء الذين ماتوا من قبلكم كانوا مثلكم مشركين؟ فأين ذهبت آلهتهم عنهم حين جاء عذاب الله؟ (القرطبي، ١٤٢٧هـ).

الموضع السابع: سورة فاطر (٣٥) آية ٤٤

النص الكريم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

التحليل الدلالي: صيغة الاستفهام هنا للتوبيخ والتقرير، أي: ألم يفعلوا هذا السير في الأرض حتى ينظروا ويعتبروا؟ والمقصود أن قوة السابقين لم تنفعهم لأنهم كفروا، فكيف يرجو هؤلاء النجاة بقوتهم؟ وفيه إبطال لعقيدة "القوة تنجي" التي كانت سائدة في الجاهلية ولدى كثير من الطغاة اليوم.

الموضع الثامن: سورة غافر (٤٠) آية ٢١

النص الكريم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾.

التحليل الدلالي: هذا الموضع يضيف قيداً جديداً لم يرد في سورة فاطر: "وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ"، أي آثاراً وبقايا من عمارة وقصور ومدن وزراعة. ومع هذا كله لم تمنعهم القوة والآثار من العذاب. وفيه إشارة إلى أن النظر في الآثار المادية وحدها لا يكفي، بل لابد من النظر الاعتباري الذي ينتج العبرة. فالأثار قد تكون دليلاً على القوة السابقة، لكنها لا تكون أبداً دليلاً على الخلود أو النجاة من عذاب الله (ابن جزي، ١٤١٥هـ).

الموضع التاسع: سورة غافر (٤٠) آية ٨٢

النص الكريم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

التحليل الدلالي: هذا الموضع يعيد نفس المعنى تقريباً، لكن مع زيادة "كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ"، فالآية تؤكد أن الكثرة العددية أيضاً لم تنفع. إذا اجتمعت القوة والكثرة والآثار، ولم تمنع العذاب، فما الذي يمنعه؟ والإشارة إلى "مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" تدل على أن كسبهم من مال وجاه وجنود لم يغنِ عنهم شيئاً حين جاء أمر الله. وهذه الآية تلخص ثلاثة مظاهر للقوة الزائفة: الكثرة، والقوة البدنية، والآثار المادية (ابن عاشور، ١٩٨٤م).

المبحث الرابع: حصر المواضع القرآنية الثلاثة عشر وتحليلها (القسم الثالث: المواضع من ١٠ إلى ١٣)

الموضع العاشر: سورة محمد (٤٧) آية ١٠

النص الكريم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾.

التحليل الدلالي: هذا الموضع يذكر نتيجة النظر بوضوح: "دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ"، ثم يعقبها بتهديد مباشر للكافرين من المخاطبين: "وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا". وفيه إشارة إلى أن سنة التدمير ليست خاصة بأمة دون غيرها، بل لكل كافر مثلها. والتدمير هنا شمل الأبدان والديار والأموال، ودليل ذلك كلمة "دَمَّرَ" التي تفيد الإهلاك التام مع الاستئصال (ابن منظور، د.ت.).

الموضع الحادي عشر: سورة الحشر (٥٩) آية ٢ (دلالة ضمنية ولكنها معتبرة)

النص الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

التحليل الدلالي: هنا لم يذكر لفظ "سيروا" صراحة، لكن دلالة السير حاصلة (إخراجهم من ديارهم سير قسري)، والنظر حاصل بلفظ "فَاعْتَبِرُوا"، والاعتبار هو نتيجة النظر الدقيق. ولذلك يعد هذا الموضع من المواضع الدالة على المعنى المقصود. وفيه إشارة إلى أن الاعتبار لا يكون إلا لـ"أولي الأبصار" أي أصحاب البصائر النافذة. والحصون التي ظنوا أنها تمنعهم لم تنفعهم، بل خربوها بأيديهم من شدة الرعب (البغوي، ١٤١٤هـ).

الموضع الثاني عشر: سورة الزخرف (٤٣) آية ٢٥

النص الكريم: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

التحليل الدلالي: هذا الموضع ليس فيه لفظ "سيروا" صراحة، لكنه سبق بسياق الحديث عن الأمم السابقة

وإرسال الرسل إليهم في الآيات التي قبلها. والنظر هنا موجه للنبي ﷺ أو للسامع كأنه يقول: انظر في آثارهم بعد أن انتقمنا منهم. والنظر هنا لا يكون إلا بعد سير ذهني أو حسي إلى ديارهم المعروفة لدى المخاطبين. وفيه إشارة إلى أن الانتقام الإلهي يأتي بعد تمكين الأمم من العيش والسير في الأرض، فلا حجة لهم. ولفظ "فَانتَقَمْنَا" بعد ذكر تكذيبهم يدل على أن النقمة نتيجة طبيعية للتكذيب، وليس عقاباً تعسفياً (الألوسي، ١٤١٥هـ).

الموضع الثالث عشر: سورة الفتح (٤٨) آية ٢٣

النص الكريم: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾.

التحليل الدلالي: هذه الآية ليس فيها لفظا السير والنظر، لكنها تلخص نتيجة السير والنظر في كل المواضع السابقة. فمن سار في الأرض ونظر في عاقبة المكذبين، سيجد سنة الله ثابتة لا تبديل ولا تحويل. ولذلك عدها بعض الباحثين موضعاً جامعاً مانعاً للدلالة. وهي بمثابة القاعدة الكلية التي تؤكدها جميع الآيات السابقة. وهي معطوفة على ما قبلها في سورة الفتح، حيث ذكر الله أحكام الجهاد والبيعة، ثم أكد أنها سنة ماضية لا تتغير، ليطمئن المؤمنون أن النصر آتٍ حتماً (السعدي، ١٤٢٠هـ).

ملحق حصر المواضع الثلاثة عشر في جدول

الرقم	السورة	رقم الآية	اللفظ القرآني	الملاحظة
١	آل عمران	١٣٧	فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا	صريح
٢	الأنعام	١١	قُلْ سِيرُوا ثُمَّ انظُرُوا	صريح
٣	النحل	٣٦	فَسِيرُوا فَانظُرُوا	صريح
٤	يونس	١٠٢	فَانتَظِرُوا (بالدلالة)	ضمني
٥	النمل	٦٩	قُلْ سِيرُوا فَانظُرُوا	صريح
٦	الروم	٤٢	قُلْ سِيرُوا فَانظُرُوا	صريح
٧	فاطر	٤٤	أَوَلَمْ يَسِيرُوا فَيَنظُرُوا	استفهام
٨	غافر	٢١	أَوَلَمْ يَسِيرُوا فَيَنظُرُوا	استفهام

استفهام	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فَيَنظُرُوا	٨٢	غافر	٩
استفهام	أَفَلَمْ يَسِيرُوا فَيَنظُرُوا	١٠	محمد	١٠
ضمني	فَاعْتَبِرُوا (بالدلالة)	٢	الحشر	١١
ضمني	فَانظُرْ (مع سياق سير)	٢٥	الزخرف	١٢
خلاصة	سُنَّةَ اللَّهِ (جامعة)	٢٣	الفتح	١٣

المبحث الخامس: الدلالات المستخلصة من المواضع الثلاثة عشر

المطلب الأول: تقديم السير على النظر منهج رباني

لا يمكن أن يصل الإنسان إلى درجة الاعتبار القلبي الصحيح من دون أن يتحرك بنفسه أو بفكره إلى آثار الأمم السابقة. ولذلك كان الأمر بالسير أولاً ثم بالفاء أو "ثم" لترتيب النتيجة على السبب. وهذا يختلف عن المناهج الفلسفية التي تبدأ بالنظر المجرد قبل التجربة الحسية. فالقرآن يقدم المنهج التجريبي القائم على المعاينة ثم الاستنتاج، وهذا أصل من أصول البحث العلمي الحديث (ابن عاشور، ١٩٨٤م).

المطلب الثاني: النظر في القرآن ليس مجرد رؤية بصرية بل اعتقاد واتعاظ

يتكرر قوله تعالى: ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾، والعاقبة لا ترى بالعين المجردة فقط، بل تستكشف بالعقل والتأمل في الأسباب والمسببات. ولذلك جاء بـ"كيف" الاستفهامية التي تطلب بيان الحال والكيفية، لا مجرد الرؤية البصرية. فالنظر القرآني هو "نظر اعتبار" لا "نظر عيان" فقط (الراغب الأصفهاني، ١٤١٢هـ).

المطلب الثالث: تنوع الأساليب لتأكيد المعنى الواحد

جاء الأمر صريحاً (قل سيروا)، وجاء على شكل استفهام توبيخي (أفلم يسيروا)، وجاء على شكل تقرير بعد إخبار (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا). وكل هذه الأساليب تصب في غاية واحدة وهي دفع الغفلة عن الإنسان. وهذا من تمام البلاغة القرآنية: تنوع الأسلوب مع وحدة المضمون، لئلا يمل السامع، وليبلغ كل أسلوب فئة من الناس حسب استعدادها العقلي والنفسي (المراغي، ١٣٦٥هـ).

المطلب الرابع: العاقبة هي مدار النظر، لا زينة الأرض ولا قوة الأمم

لم يأمر الله أبداً بالسير للنظر في جمال الأرض أو عماراتهم أو متعهم، بل دائماً للنظر في العاقبة، لأن الغافلين ينظرون إلى البدايات القوية فيغترون، وإلى المسرات الزائلة فينسون النهايات. ومعلوم أن العاقبة لا

تظهر إلا بعد زمن من السير والتأمل، ولهذا قدم السير، لأن العاقبة لا تدرك دفعة واحدة (الرازي، ١٤٢٠هـ).

المطلب الخامس: ثبات سنن الله في هلاك المكذبين وإبقاء المؤمنين

تكرر لفظ "سنة الله" في غير موضع، دلالة على أن ما حدث للأمم السابقة ليس عبثاً ولا ظلماً، بل سنة ماضية في الخلق لا تتبدل ولا تتغير. قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ (القرآن الكريم، سورة فاطر، الآية ٤٣). وهذه السُنن تشمل الإمهال ثم الإهلاك، والاستخلاف ثم الإزاحة، والنصر للمؤمنين في العاقبة وإن تأخر. ومن لم يؤمن بهذه السنن يبقى في حيرة وقلق، أما من آمن بها وعمل بمقتضاها فعاش مطمئناً (ابن تيمية، ١٤١٦هـ).

المطلب السادس: التحدي القرآني لأهل الكتاب والمشركين

في كثير من المواضع كان الخطاب موجهاً للمشركين واليهود والنصارى الذين يعرفون أخبار الأمم السابقة من كتبهم، لكنهم لم يقوموا بالسير الفعلي للنظر والاعتبار، فجاء القرآن يتحداهم بهذا الأمر الذي كان في مقدورهم. وهذا التحدي أشد إلزاماً من أن يخاطب به من لا يعرف شيئاً عن التاريخ أصلاً؛ لأنهم إن لم يقوموا بالسير والنظر فقد خالفوا علمهم وكتبهم التي بين أيديهم (ابن كثير، ١٤٢٠هـ).

المطلب السابع: التدرج من العام إلى الخاص في العاقبة

قال تعالى: ﴿عاقبة المكذبين﴾، وقال ﴿عاقبة المجرمين﴾، وقال ﴿الذين من قبلهم﴾، وهذا التدرج يحقق شمولية العبرة لكل من كذب أو أجرَم أو خالف. و"المجرمون" أخص من "المكذبين"، لأن كل مجرم مكذب وليس العكس. وفيه تنبيه إلى أن أنواع الجرائم كلها تؤدي إلى عاقبة واحدة إذا لم يتب صاحبها. والمقصود أن العبرة لا تختص بنوع معين من المعاصي (القرطبي، ١٤٢٧هـ).

المطلب الثامن: السير يكون بالجوارح أو بالقلب أو بالخيال

ليس السير المقصود في كل آية سيراً حسياً بالأقدام، بل قد يكون السير بالتفكر في أخبار الأمم السابقة دون تنقل فعلي، كما قال بعض المفسرين في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ قد يُكتفى بسماع أخبارهم التي هي كالسير إليها. وفي هذا توسعة على من لا يستطيع السفر، إذ العلم بأحوال الأمم السابقة يقوم مقام معاينتها في حصول الاعتبار. وهذا من رحمة الله بعباده (الألوسي، ١٤١٥هـ).

المطلب التاسع: الأمر بالسير والنظر حجة على المشركين في كل زمان

ليس الخطاب في هذه الآيات موجهاً إلى المشركين الأوائل فقط، بل هو خطاب مستمر إلى كل من يشرك

بالله أو يكذب رسله أو يجرم في الأرض إلى يوم القيامة. فكل من يمر على آثار الأمم البائدة أو يسمع أخبارها، وتقوم عليه الحجة بأن الله أهلك من كان قبله بسبب الكفر والفساد، ثم يستمر على نفس الطريق، فإنه يكون قد ألغى عقله وتحدى سنة الله بغير دليل (السعدي، ١٤٢٠هـ).

المطلب العاشر: التركيز على "العاقبة" وليس على "البداية"

من أعظم ما تتعلمه الأمة من هذه الآيات: ألا تنظر إلى بداية الأمم القوية الظاهرة، بل إلى نهايتها. فكم من أمة بدأت قوية عظيمة ثم انتهت إلى التهلكة. وكم من أمة بدأت ضعيفة ذليلة ثم انتهت إلى العزة والنصر. ولهذا قال النبي (ﷺ): "إنما العاقبة للمتقين"، وهي نفس العبارة التي يختتم بها القرآن كثيراً من قصصه (الألباني، ١٤٢٢هـ).

الخاتمة

الحمد لله الذي وفق لإتمام هذا البحث على الوجه الذي يُرضي أهل العلم والاختصاص، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد خلصت الدراسة إلى أن اقتران ألفاظ السير والنظر في القرآن الكريم – وفي المواضع الثلاثة عشر التي تم حصرها وتحليلها – يشكل منهجاً معرفياً قائماً على ركيزتين:

- **الأولى:** التنقل المادي أو الذهني في آثار الأمم السابقة (السير).
- **الثانية:** التأمل العقلي القلبي لاستخلاص العبرة الثابتة (النظر).

وقد تبين أن المواضع الثلاثة عشر تحمل تنوعاً أسلوبياً يشمل الأمر المباشر، والاستفهام التقريري والتوبيخي، والإخبار مع الأمر، مع وحدة كاملة في الغاية وهي إثبات سنن الله في الأمم وأن العاقبة للمتقين لا للمجرمين المكذبين. كما تبين أن دلالة النظر في هذه الآيات أعمق من مجرد الرؤية البصرية، إذ إنها تشمل الاعتبار العقلي والتدبر القلبي، ولذلك جاء مقروناً بـ"كيف" الاستفهامية التي تطلب بيان الحال لا مجرد رؤية العين.

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث:

١. أن الأمر بالسير والنظر يتضمن منهجاً علمياً أصيلاً قائماً على المشاهدة ثم الاستنتاج.
٢. أن تكرار هذه الصيغة في ثلاثة عشر موضعاً دليل على أهميتها في المنهج القرآني للتذكير والوعظ.
٣. أن السير المادي ليس شرطاً دائماً، بل قد يقوم مقامه السير الفكري والخيالي في أخبار الأمم.
٤. أن العاقبة هي المقياس الحقيقي للأمم، لا القوة الظاهرة ولا الكثرة العددية ولا الآثار المادية.

التوصيات

في ضوء ما توصل إليه البحث، أوصي بما يأتي:

- **أولاً:** دراسة تطبيقية لهذه الآيات على واقع الأمم المعاصرة التي تسير في الأرض وتنظر في آثار السابقين، ثم تعاود ارتكاب نفس الأخطاء، لبيان فاعلية الخطاب القرآني في كل زمان ومكان.
- **ثانياً:** بحث العلاقة بين صيغة "سيروا فانظروا" وصيغة "قل سيروا" في القرآن، وما إذا كان الخطاب للنبي (ﷺ) دائماً أم للمؤمنين عموماً.
- **ثالثاً:** تحليل دلالة لفظ "كيف" في هذه الآيات، ودورها في تحويل النظر البصري إلى نظر عقلي استدلالي، وربط ذلك بمناهج البحث في العلوم الإنسانية الحديثة.
- **رابعاً:** دراسة الأثر النفسي والتربوي لتكرار هذه الآيات في تربية المسلم على منهج الاعتبار بالتاريخ، وتطبيق ذلك في المناهج التعليمية.
- **خامساً:** عمل معجم دلالي لألفاظ السير والنظر في القرآن الكريم، يشمل كل مواضعهما منفردين ومقترنين، ويكون مرجعاً للباحثين.

References

1- Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din**.** (1422 AH). *Silsilat al-Ahadith al-Sahihah*. Maktabat al-Ma'arif.
2- Al-Alusi, Mahmud bin Abdullah. (1415 AH). *Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-Azim wa-al-Sab' al-Mathani*. Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
3- Al-Baghawi, Al-Husayn bin Mas'ud**.** (1414 AH). *Ma'alim al-Tanzil*. Dar Taybah.
4- Al-Baydawi, Abdullah bin Umar**.** (1418 AH). *Anwar al-Tanzil wa-Asrar al-Ta'wil*. Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
5- Al-Jawhari, Isma'il bin Hammad**.** (1407 AH). *Al-Sihah: Taj al-Lughah wa-Sihah al-Arabiyyah* (Ed. Ahmad Abdul-Ghafur Attar). Dar al-Ilm lil-Malayin.
6- Al-Qasimi, Muhammad Jamal al-Din**.** (1418 AH). *Mahasin al-Ta'wil*. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
7- Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad**.** (1427 AH). *Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an*. Muassasat al-Risalah.
8- Al-Razi, Muhammad bin Umar**.** (1420 AH). *Mafatih al-Ghayb*. Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
9- Al-Raghib al-Asfahani, Al-Husayn bin Muhammad**.** (1412 AH). *Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an*. Dar al-Qalam.
10- Al-Sa'di, Abd al-Rahman bin Nasir**.** (1420 AH). *Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan*. Muassasat al-Risalah.
11- Al-Samarqandi, Nasr bin Muhammad**.** (1413 AH). *Bahr al-Ulum*. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
12- Al-Shawkani, Muhammad bin Ali**.** (1414 AH). *Fath al-Qadir: Al-Jami' Bayna Fannay al-Riwayah wa-al-Dirayah*. Dar Ibn Kathir.
13- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir. (1420 AH). *Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ay al-Qur'an*. Muassasat al-Risalah.
14- Al-Zajjaj, Ibrahim bin al-Sari. (1408 AH). *Ma'ani al-Qur'an wa-I'rabuhu*. Alam al-Kutub.
15- Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. (1984 AD). *Al-Tahrir wa-al-Tanwir*. Al-Dar al-Tunisiyyah lil-Nashr.
16- Ibn Atiyyah, Abd al-Haqq bin Ghalib. (1422 AH). *Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-Aziz*. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
17- Ibn Faris, Ahmad. (1412 AH). *Mu'jam Maqayis al-Lughah* (Ed. Abd al-Salam Harun). Dar al-Jil.
18- Ibn Hajar al-Asqalani, Ahmad bin Ali. (1379 AH). *Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari*. Dar al-Ma'rifah.
19- Ibn Juzi al-Kalbi, Muhammad bin Ahmad. (1415 AH). *Al-Tashil li-Ulum al-Tanzil*. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
20- Ibn Kathir, Ismail bin Umar**.** (1420 AH). *Tafsir al-Qur'an al-Azim* (Ed. Sami bin Muhammad Salamah). Dar Taybah.
21- Ibn Manzur, Muhammad bin Makram. (N.D.). *Lisan al-Arab*. Dar Sader.
22- Ibn Taymiyyah, Ahmad bin Abd al-Halim**.** (1416 AH). *Majmu' al-Fatawa*. King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex.
23- Al-Maraghi, Ahmad bin Mustafa. (1365 AH). *Tafsir al-Maraghi*. Mustafa Al-Babi Al-Halabi Printing and Publishing Co.
24- Abdul-Baqi, Muhammad Fuad. (N.D.). *Al-Mu'jam al-Mufahras li-Alfaz al-Qur'an al-Karim*. Dar al-Hadith.